M-17310-2009
ISBN: 978-84-611-9000-2
Depósito Legal: M-17310-2009
Impresión: Artes Gráficas Palermo S.L.
Fotomecánica: Fotomecánica Lizarra, S.L.
Encuadernación: Encuadernaciones Rivas, S.L.
Papel: Munken Lynx 115 g/m2
Tipografía: Frutiger 55 Roman, Frutiger 65 Bold, Frutiger 75 Black
Diseño y maquetación: Estudio Alcazarquivir
Impreso en España
Printed in Spain

Este libro ha sido cofinanciado por la Unión Europea
Este libro ha sido cofinanciado por la Consejería de Cultura y Deporte del Gobierno de Canarias
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Cultura
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Asuntos Exteriores y de Cooperación
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Vivienda
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Fomento
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Educación y Ciencia
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Industria, Turismo y Comercio
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Economía y Hacienda
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Trabajo y Asuntos Sociales
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Sanidad y Consumo
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Agricultura, Pesca y Alimentación
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Medio Ambiente
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Ciencia y Innovación
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Administraciones Públicas
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Interior
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Justicia
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Defensa
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Sociedad de la Información
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Turismo
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Deporte
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Igualdad
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Vivienda
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Fomento
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Educación y Ciencia
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Industria, Turismo y Comercio
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Economía y Hacienda
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Trabajo y Asuntos Sociales
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Sanidad y Consumo
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Agricultura, Pesca y Alimentación
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Medio Ambiente
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Ciencia y Innovación
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Administraciones Públicas
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Interior
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Justicia
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Defensa
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Sociedad de la Información
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Turismo
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Deporte
Este libro ha sido cofinanciado por el Ministerio de Igualdad

القصر الكبير

التصميم و الدليل المعماري

نبذة تاريخية لمدينة القصر الكبير

تقع مدينة القصر الكبير في الشمال الغربي للمغرب، على وادي متسع على ضفاف نهر اللوكوس الذي يحيط بها من جهتي الغرب والجنوب. متوسطة بذلك منطقة فسيحة تتميز بإرثها للفلاحة ومعادنها بتربة المواشي. ونظرا لقربها الجغرافي من المحيط الأطلسي ومن البحر الأبيض المتوسط، بحيث لا تبعد عنهما بأكثر من ثلاثين كلمترا بالنسبة للأول وتسعين كيلومترا بالنسبة للثاني، فإنها تتمتع بمناخ متوسطي تعترفه مؤثرات أطلسية شديد الشبه بنظيره الذي يهيمن على جهات عديدة في الجنوب الغربي من شبه جزيرة إيبيريه. ويتميز فصل الصيف بها بارتفاع درجات حرارته التي تسهم في تلطيفها أحيانا المؤثرات الأطلنتية المذكورة.

تعتبر المدينة حاليا جماعة حضرية تابعة لعمالة العرائش يقطنها 130000 ساكنا. وأهم طريق يؤدي إليها هو الطريق الرابط بين طنجة وكل من الرباط وفاس. وتتوفر كذلك على محطة للقطار الذي يربطها بهذه المدن.

اشتهرت هذه المدينة تقليديا بخصوبتها لفيضانات نهر اللوكوس في مواسم الشتاء الوفيرة، ما كان يتسبب لها في كثير من الأحايين خلال تاريخها الطويل. وبفضل بناء سد وادي الأقنان فقد تراجعت هذه المخاطر في السنين الأخيرة كما تضاعفت فيها المساحات المسقوية من سهول وادي اللوكوس.

يعود وجود الإنسان في المنطقة المغربية من القصر الكبير إلى مرحلة ما قبل التاريخ. فقد أتاحت له إمكانات العيش بها فرصة مواصلة عملية الاستقرار الدائم بضحائها. ويظهر ذلك جليا في الرسوم الحجرية التي تعود إلى العصر البيوطيقي الغبري، والتي تم العثور عليها في مغارات وطوابيف الجبال وفي مقاطع الأحجار الغربية من المدينة.

وبالنظر إلى خصوبة محيط القصر الكبير وموقعه الجغرافي المعتدل فيما بين منعرجات ضفتي لوكوس السفلية، فقد جمعته البيئولوجية بمنطقة الغرب الأقصى التي شهدت إحدى منجرات حرفل في رحلته إلى حدائق صمبريريس.

وما لا شك فيه، فقد يسر تواصل منطقة القصر الكبير بليكسوس الغربية منها، وما كان لها من أهمية في الأزمنة القديمة. وبالنظر إلى وجودها على نهر اللوكوس الذي يجري مياهه نحو مصبه على الأطلنطي، فقد حصل اتصال مبكر لهذه الجهة بالمدلات الثقافية والاقتصادية، التي أخذت تجري في منطقة مضيق جبل طارق منذ ما قبل التاريخ. ثم إن الحضور الفينيقي المتمثل في المواقع الأركيولوجية القريبة بالمدينة، يعتبر في حد ذاته عن وصول المعمرين الأوائل إليها من الفينيقيين الذين وفدوا من شرق البحر الأبيض المتوسط.

من الواضح أن مدينة القصر الكبير الحالية قد أقيمت على أنقاض أوبيدوم نوفوم القلعة القديمة، أو المدينة الرومانية العامرة لبوبنايتية المطحية التي تم العثور على كثير من آثارها وبقاياها في القرن الأخيرة وخاصة في القرن العشرين، حيث سيتناهى ظهورها خلال الأشغال العمومية الكبرى بهذه المدينة. ويتعلق الأمر بالتوسعة الإسبانية للمدينة وتعميرها خلال مرحلة الحماية الإسبانية، وكذلك بأعمال توسعة شبكة الصرف الصحي وتقويتها، وأشغال ترميم المسجد الأعظم وإصلاحه التي أجريت بها مؤخرا.

فقد تم العثور في هذه المدينة على قطع من الفخار والرخام وعلى قنوات وممكلات نقدية وعلى نقائش تحمل كتابات رومانية ظاهرة، من مثل تلك التي ما فتئت تشكل أحراف من مكونات موسعة المسجد الذكور. وتتحدد من بينها أهمية بالغة تلك النقيشة التي كتب عليها بالحروف اليونانية: يا بسمح بإرادتها ضمن سياق الوجود البيزنطي في شمال المغرب خلال القرن السادس بعد الميلاد. والظاهر أن صمود المدينة الرومانية القديمة في وجه آفات الدهر واستمراريتها في الوجود، قد امتد إلى أفول الوجود القوطي في شمال إفريقيا في القرن السابع بعد الميلاد. لذلك، فإن تضافر هذه الموجودات الأثرية مع المعطيات المستخرجة من المصادر التاريخية الأخرى لدليل على أنه يمكن أن نعد مدينة القصر الكبير من بين المدن السبعة التي أسست في المغرب قبل دخوله إلى المرحلة الإسلامية من تاريخه.

ومع وصول الإسلام إلى المغرب، وعلى عهد حكم الأسرة الإدريسية، ستنمو مدينة القصر الكبير بوصفها مدينة إسلامية، على أنقاض موقعها السابق، وبعد أسسوها قبيلة كتامة في مطلع القرن الثالث الهجري/IX م. وبالنظر إلى موقعها الاستراتيجي المتمثل في كونها همزة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، وبالنظر كذلك إلى توافرها على إمكانيات زراعية وتجارية، فقد أراد لها مؤسسوها أن تتحول إلى أهم مركز حضري من مراكز المغرب الشمالي. وقد شرع في هذا التاريخ بتأسيس جامعها الكبير.

اتخذ الاسم القديم لهذه المدينة في القرون الأولى لتكوينها صورا ثلاثة : سوق كتامة وقصر كتامة وقصر عبد الكرم. وتلك من قبل تعويضه بالاسم الجديد الذي تعرف به اليوم (القصر الكبير : القلعة الكبيرة).

ويذكر المؤرخ الأندلسي البكري في القرن الخامس الهجري/ح م هذه المدينة باسم سوق كتامة، متحدثا كذلك عن وجود قصر على هضبة مشرف على نهر كبير. أما المؤرخ الإدريسي الذي كتب في بداية القرن السادس الهجري/XII م فقد ذهب إلى أن أصل هذه المدينة يرجع إلى سوقها العامر بحوانيته الواقع على ملتقى الطرق المنطلقة من البصرة إلى طنجة، ومن أصيلة وشمس (ليكسوس) إلى فاس.

لم تذكر مدينة القصر الكبير خلال العهد المرابطي فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين/ XI-XII م إلا بوصفها محطة لعبور الجيوش الضخمة إلى الأندلس. ولربما شرع خلال نفس هذه المرحلة في بناء جامع هذه المدينة.

شرعت الأسر الأندلسية في الاستقرار بهذه المدينة خلال العهد الموحدي فيما بين القرنين السادس والسابع الهجريين (XIII-XII) بحيث وصل إليها من شاب شرشرت في القرن السادس/XII العلامة مولاي علي بن أبي غالب، الذي سيحقق منها مركزا للدراسات الجديدة. وبالنظر إلى ما كان يتمتع به من قداسة بين أهل هذه المدينة، فقد دفنوه عند وفاته خارج أسوارها قرب باب سبتة، فأقاموا ضريحا على قبره ليتحول بعد ذلك إلى صاحب مدينة القصر الكبير وصامتها. أما لالا فاطمة الأندلسية، فلقد كانت امرأة صالحة من أهل نفس الثغر، وبنع ضريحها في غرب حومة باب الواد، بقرب الباب الشرقي باب البنانين.

لقد أقام الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (1163-1184م) أسوار هذه المدينة المحيطة بها، كما كتب عن وجود قصر على هضبة مشرف على نهر كبير. أما المؤرخ الإدريسي الذي كتب في بداية القرن السادس الهجري/XII م فقد ذهب إلى أن أصل هذه المدينة يرجع إلى سوقها العامر بحوانيته الواقع على ملتقى الطرق المنطلقة من البصرة إلى طنجة، ومن أصيلة وشمس (ليكسوس) إلى فاس.

لم تذكر مدينة القصر الكبير خلال العهد المرابطي فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين/ XII-XI م إلا بوصفها محطة لعبور الجيوش الضخمة إلى الأندلس. ولربما شرع خلال نفس هذه المرحلة في بناء جامع هذه المدينة.

شرعت الأسر الأندلسية في الاستقرار بهذه المدينة خلال العهد الموحدي فيما بين القرنين السادس والسابع الهجريين (XIII-XII) بحيث وصل إليها من شاب شرشرت في القرن السادس/XII العلامة مولاي علي بن أبي غالب، الذي سيحقق منها مركزا للدراسات الجديدة. وبالنظر إلى ما كان يتمتع به من قداسة بين أهل هذه المدينة، فقد دفنوه عند وفاته خارج أسوارها قرب باب سبتة، فأقاموا ضريحا على قبره ليتحول بعد ذلك إلى صاحب مدينة القصر الكبير وصامتها. أما لالا فاطمة الأندلسية، فلقد كانت امرأة صالحة من أهل نفس الثغر، وبنع ضريحها في غرب حومة باب الواد، بقرب الباب الشرقي باب البنانين.

لقد أقام الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (1163-1184م) أسوار هذه المدينة المحيطة بها، كما شيد بها مسجدها الأعظم، وبعض الحمامات، ناهيك عن إقامته واستراحاته الخاصة بالصيد والاستجمام. وستبلغ مدينة القصر الكبير على عهده أوج ازدهارها بفضله وفضل الموحدين.

في مرحلة لاحقة كانت مدينة القصر الكبير من أولى مدن الشمال التي أعلنت ولاءها للمرينين عند وصولهم إلى الحكم، ولتكونهم منه. مما أهلها لكي تتخذ لنفسها أهمية خاصة في السياسة المغربية، وفي علاقاتها بالأندلس، وبمني نصر بغرناطة على وجه التحديد. حيث حكمت هذه المدينة في هذه المرحلة، وأدارت شؤونها عائلة أميرية من آل الرئيس أشقيلولة، الذين وفدوا عليها من مدينة وادي آش الأندلسية، حيث سيتمتعون فيها باستقلالية موسعة، مكنتهم من توسيعها والزيادة فيها. وقد أمر السلطان المريني أبو الفنس (1351-131 3م) ببناء المدرسة الملحقة بالمسجد الأعظم لتتحول بعد ذلك إلى مركز مهم من مراكز التكوين المديني. وذكر المؤرخ ابن خلدون هذه المرحلة من مراحل مدن المدينة، كما أن آثار هذه الفقيه من تاريخ المدينة ما فتئت تظهر في مقبرة سيدي الرئيس أشقيلولة، التي دفن فيها الرئيس الأمير أبو الفنس إلى جانب أقاربه. ولا زال قبره يتمتع بين الأهالي باحترام وتبجيل.

ومع أفول سلطة بني أشقيلولة، ستأخذ مدينة القصر الكبير في التراجع عن ازدهارها المذكور، الذي سيتناقص على عهد حكم الأسرة الوطاسية حدته مع الاحتلال البرتغالي للمدن الساحلية المغربية. ففي هذه المرحلة سيطلال الضعف الدولة المغربية إلى الحد الذي ستخضع فيه ساكنتها على نفسها من المشاريع التوسعية للأوربيين المنطلقة، بما يحتويه من مراكز على الساحل المغربي. ففي هذه الأوقات حكمت شمال المغرب، وأدارت شؤونه أسر ضمن إمارات مستقلة سياسيا وعسكريا ويتعلق الأمر بأسرة بني راشد بشفشاون، وعائلة المنظري بتطوان، وآل عبد الحميد العروسيين بالقصر الكبير.

يذكر الحسن الوزان (ليون الإفريقي حوالي 1488-1554) بأنه لم يكن في مقدور سكان القصر الكبير مع نهاية القرن XV. استغلال جميع أراضيهم الزراعية الواقعة خارج مسافة ستة كيلومترات من مدينتهم، توجسا من اعتداءات البرتغاليين المتمركزين بأصيلة بقليل. فلهم، يذكر هؤلاء لمدخريا جهوا فيما بين القرنين (XVI-XV) المهجوم على هذه المدينة ونهبها، وإن لم ينجحوا، غالبا في الحفيق في انتصار عسكري عليها، بحيث لم يجنوا من ذلك غير هزائم متتالية. ولمثل المغامرة الأليمة للمكهم سيستيان الأول أقسى هزمة كفت بهم في هذا المنحصار، ويتعلق الأمر بالواقعة المثيرة بين وقائع تاريخ هذه المدينة، والتي سيكون لها تأثير بالغ في السياسة الأوربية المعروفة بمعركة القصر الكبير أو معركة وادي الأقنان التي دارت رحاها في الربع من غشت من 1578 على ضفاف نهر الأقنان الواقع شمال هذه المدينة. ففي هذه المعركة سينتهي كل من الملك المذكور والسلطان عبد الملك السعدي والمقويل من طرفه، ابن أخيه المتوكل.

ففي ساحة هذه المعركة، سيعلن المنصور فيها مولاي أحمد الأخ الصغير لعبد الملك، ملكا على المغرب، متخذا لنفسه لقب المنصور، ولقب الذهبي. وسيهمل من بعد ذلك على تدعيم حكم السعديين المنطلقين من جنوب المغرب، وعلى تقويته، فمكنا بذلك من خلق الاستقلال الفعلي للمغرب من التدخلات الأوربية والتركية في شؤونه.

ستحفظ مدينة القصر الكبير ازدهارا جميعا على الربغم من قصر مدته، خلال القرن (XVII). فمت حكم المنصور غيلان، الذي استطاع أن يبسط سيطرته في هذه المرحلة، على قسم وافر من شمال المغرب. ففي القصر الكبير شيد قصره في حومة باب الواد المسمى بدار غيلان. غير أنه سيتبنهي مهوزما في مواجهاته للسلطانين العلويين مولاي رشيد ومولاي إسماعيل، ما سيؤثر على مستقبل مدينة القصر الكبير التي كانت قد بايعته وأعلنت له، بحيث ستتحجر وستهدم أسوارها التي لن يعد بناؤها أبدا.

لقد تعرف هذه المدينة كثيرا من التعسفات والمظالم فيما بين القرنين (XVIII-XVII) على يد آل الريفي الذين توالوا على حكم شمال المغرب، من بعد قدومهم من الريف واستقرارهم بطنجة، وجذرهم بها. ولن تنحلص المدينة من هذه المعاناة إلا من بعدما هزم السلطان مولاي عبد الله، أحمد الريفي في معركة المزة التي دارت رحاها قرب القصر الكبير.

أقفلت مدينة القصر الكبير م 1191 بتنظيم الحماية الإسبانية للمغرب (1956-1911). وطيلة هذه المدة ستعرف المدينة توطينا فيائق من الجيوش الإسبانية، فضلا عن الهجرات الإسبانية التي ستصل إليها، ومستهم في تناسي ساكنتها، وفي بناء مدينة جديدة بجانب المدينة القديمة. وقد انتهت هذه المرحلة في 1956، خلال حكم الملك محمد الخامس الذي سيتحمل مسؤولية حكومة السيادة الوطنية. ومن بعد ذلك، ستعرف المدينة خلال النصف الثاني من القرن العشرين تطورات عديدة بحسب ما عرفته بنياتها التحتية من هزلات ومن تحيت لنمط اقتصادها التقليدي.

تعمير مدينة القصر الكبير

أعد المهندسون العسكريون الإسبانيون ابتداء من النصف الثاني من القرن (XIX) وفي سنة 1883 تصميما للقصر الكبير، وصفا فيزيائيا له. وتظهر فيهما هذه المدينة مقسمة إلى حومتين متشابهتين في امتداداتهما : باب الواد في جنوبها والشريعة في شمالها، وبينهما يقع سوق سيدي أبو أحمد.

وحومة باب الواد، هي الأقرب إلى نهر اللوكوس من حومة الشريعة، وأكثر منها قدما وعراقة. ويرجع وجودها إلى ما قبل تسوير المدينة، وفيها يقع المسجد الأعظم، الذي يرجع بناؤه في الغالب، إلى العهد المرابطي أي خلال القرن السادس/XII م. وفيها توجد دار الدباغة وبعض أشهر مغازل هذه المدينة. مثلما توجد فيها كذلك بقايا القصر القديم للحضر غيلان، وضريحا كل من سيدي الرايس ولالا فاطمة الأندلسية. وينوع للاخ والغبسارية وكثير من الفنادق على المنطقة التي تصل هذه الحومة بسوق سيدي أبو أحمد.

أما حومة الشريعة، فقد تأسست بهذه المدينة وتطورت فيها، في مرحلة لاحقة من تاريخها، فيما بعشرب من القرن (XVI). وقد شيدت على أرض مرتفعة نسبيا عن جوهر باب الواد، ما يؤاها إمكانية مقاومة الفيضانات المتتالية لهاه اللوكوس التي كانت تنحصر منها المدينة برمتها. وبعد المسجد السعيد وسيدي يعقوب والسويقة والفضاء العمراني لساحة الدرس من أهم مكونات هذه الحومة.

أما بقايا السور الموحدي الذي كان يحيط بالحومتين المذكورتين فإنها لا تستطيع أن تقاوم اليوم اختفاءها النهائي، في الوقت الذي كانت تظهر فيه جلية للعيان في هذه المرحلة. ولا غرو في ذلك، فأسأس هذا السور يعتبر جذوره إلى ما يتعدى أربعة أمتار في عمق الأرض، نتيجة ما تراكم عليه من طمي اللوكوس. لذلك، فقد أقمسنا أمام مدينة تشبه نفسها باستمرار فوق نفسها، مع توالي الزمن وبتمر تتابع فيضانات النهر عليها.

أما فضاءاتها الخارجية، فقد امتلأت بالخان والعرصات، وخاصة بالجنوب الشرقي منها نحو النهر، ما أدى إلى انحصار كل من هذه المدينة وتلك العرصات إلى النهر وتقوده إليه.

لقد عرفت المدينة ابتداء من القرن العشرين أشغال التعمير ضمن تصور مزدوج يجمع بين ما هو عسكري وما هو مدني. وقد فرض الوقع الاستراتيجي للقصر الكبير بوصفه محللا لنقاط التماس والحدود مع منطقة الحماية الفرنسية، المشروع منذ 1911 في بناء محلة ضخمة للحدد وبني خيمة على قمر كبير من الأهمية. تناهض المراقبة الترابية جهة الحماية الإسبانية. وفي نفس الوقت الذي بدأت تظهر فيه أولى منشآت هذا المعسكر بجانب مجموعة من الدور السكنية للضباط بحومة الحارة شرع كذلك في مد سكة القطار الرابط بين طنجة وفاس، وبناء محطته بالقصر الكبير التي تربطه كذلك ببناء العرائش فضلا عن رفع قنطرة الكرمة على اللوكوس، ومن ثمسن حالة الطرق المتجهة إلى العرائش وطنجة.

وقد أدت هذه الأعمال إلى هدم ما كان قد تبقى في حينه من السور الموحدي. وترجع جميع هذه الأعمال إلى المهندسين العسكريين الذين وضعوا كذلك مشاريع بناء المستشفى المدني، والدرنة بالإضافة إلى مجاري الصرف الصحي فجهة المعسكر التي لم إفارتها فيما بين 1922 و 1911. وخلال هذه المرحلة ستعرف المدينة بالنظر إلى تناهي شروط الأمن التي أتيحت لتنوهر بها، نموا ديمغرافيا متزايدا، مع وصول الإسبانيين إليها واستقرار كثير من القويين بها أيضا.

وهكذا اتخذ الإفقار العسكري لنفسه المبارة على حساب الإفقار المدني الذي لا نكاد نقف له على أثر مع انطلاق هذه الأشغال التعميرية. لذلك وجب انتظار استهلال سنوات العشرينات لنقف على الشروع في إفقار الأشغال الأولى المتعلقة بجلب المياه وتوفير شروط الصحة والنظافة للمدينة، وبناء المقبرة الكاثوليكية والمستوصف، وأولى المدارس الإسبانية.

والواقع أن الفضل يرجع إلى الفنصل إسميدو دي كاس كخيكاس (Isidro de las Cagigas) في إطلاق هذه النهضة العمرانية والعسمير فيها. فقد خطط وصمم بنفسه المدينة ابتداء من 1923 كبير من الأهمية. تناهض المراقبة الترابية جهة الحماية الإسبانية. وفي نفس الوقت الذي بدأت تظهر

فيه أولى منشآت هذا المعسكر بجانب مجموعة من الدور السكنية للضباط بحومة الحارة شرع كذلك، في مد سكة القطار الرابط بين طنجة وفاس، وبناء محطته بالقصر الكبير التي تربطه كذلك ببناء العرائش فضلا عن رفع قنطرة الكرمة على اللوكوس، ومن ثمسن حالة الطرق المتجهة إلى العرائش وطنجة.

وقد أدت هذه الأعمال إلى هدم ما كان قد تبقى في حينه من السور الموحدي. وترجع جميع هذه الأعمال إلى المهندسين العسكريين الذين وضعوا كذلك مشاريع بناء المستشفى المدني، والدرنة بالإضافة إلى مجاري الصرف الصحي فجهة المعسكر التي لم إفارتها فيما بين 1922 و 1911. وخلال هذه المرحلة ستعرف المدينة بالنظر إلى تناهي شروط الأمن التي أتيحت لتنوهر بها، نموا ديمغرافيا متزايدا، مع وصول الإسبانيين إليها واستقرار كثير من القويين بها أيضا.

وهكذا اتخذ الإفقار العسكري لنفسه المبارة على حساب الإفقار المدني الذي لا نكاد نقف له على أثر مع انطلاق هذه الأشغال التعميرية. لذلك وجب انتظار استهلال سنوات العشرينات لنقف على الشروع في إفقار الأشغال الأولى المتعلقة بجلب المياه وتوفير شروط الصحة والنظافة للمدينة، وبناء المقبرة الكاثوليكية والمستوصف، وأولى المدارس الإسبانية.

والواقع أن الفضل يرجع إلى الفنصل إسميدو دي كاس كخيكاس (Isidro de las Cagigas) في إطلاق هذه النهضة العمرانية والعسمير فيها. فقد خطط وصمم بنفسه المدينة ابتداء من 1923

المدينة وضواحيها سنة 1883

مجموعة سكنية بجوار سيدي أبو أحمد

صورة للمسجد السعيد بالقرن العشرين

وادي اللوكوس

صحن الجامع الأعظم — صحن الجامع السعيد — مسجد السويقة — مسجد سيدي يعقوب — ضريح مولاي علي بوغالب — ضريح لالا فاطمة الأندلسية — منزل الرميقي — منزل عدة — منزل حسيسن — منزل البقالي — الغبسارية — المدراز الكبير — دار الدباغ — فندق النقاريية — بقايا السور الموحدي

الكنيسة الكاثوليكية — بوابة المعسكر القديم — إقامة الباشا — قاعة العلم — الجموعة المدرسية ابن خلدون — مدرسة سيدي أبو أحمد — بناية البلدية — سوق سيدي (سوق الجيوب سابقا) — السوق المركزي — سوق سبتة (سوق الجيوب سابقا) — المكتبة البلدية — المركز الثقافي — بنفيكسنيفيساحةشهداء

رمز لمعركة وادي الأقنان

فتح ضيقة

من دون أن يعتمد في ذلك على المهندسين والمعماريين. وقد حددت مساحات خارجية لتوسيع المدينة نحو شمالها الغربي (هذه التوسعة هي أصل حومة المسيرة وحومة الأندلس على التوالي) على أراضي عمومية (مخزنية) مرتفعة، لمقاومة فيضانات النهر، وقريبة من محطة القطار ومن المداخل المعبدة للمدينة. كما اتصلت هذه الجهات ببعضها عبر شارع سيدي علي بوغالب، منطلقة من أقصى غرب سوق سيدي أبو أحمد (وهي العين سوامة مولاي المهدي) لتجري نحو الشمال باحثة عن طريق الخروج إلى العرائش. ولقد خول هذا الشارع الجديد عند اتصاله بالشارع الدائري الشرقي (وهو اليوم شارع 20 غشت) المؤاي لسكة القطار، إلى الخال العمراني للطريق الرابط بين طنجة والرباط. وقد شكل هذان الشارعان بالتحاقهما بهذا الشكل، وبارتباطهما معا عبر سوق سيدي أبوحمد أكبر الشوارع الدائرية للمدينة.

لقد رتبت الفضاءات الواقعة فيما بين هذين الشارعين وحدود المدينة القديمة، في ضوء تصميم عمراني انتقائي. فالتضحية بالأسوار عوضت بتجمع من البنايات السكنية، والاعتداء في الجانب الشرقي من المدينة بمواقع الأسواق وأفكات التجارية.

أما فيما يرجع إلى كبرى مجالات التوسعة الخارجية، فقد تم التخطيط لها بشكل مخالف. تورثت وقفه المهندسون العسكريون بالمعسكر منشآت من مثل قاعة الاعلام (1919)، التي أسهم في بنائها المصنع النقليدوين الفاسيون والمركنيون. وبعد هذه الرحلة وضع خوسي لوريسة (José Larrucea)، ضمن توجه معماري يأخذ بلوبنات الهندسة الأهلية، تصميم البناية التي تخصص اليوم ثانوية ابن خلدون (1926)، قبل وضعه لتصاميم الإقامة العامة القديمة (1926)، ولكنيسة القلب المقدس (1931)، ولمدرسة سيدي أبو أحمد (1934)، ضمن توجه عقلاني، وهو نفس التوجه الذي سيراه ترسخا بعيد هذه المرحلة في منجزات فرنسيسكو هيرانت (Francisco Herranz) المتمثلة في تصميماته للإقامات السكنية الفخمة في المعسكر، أو للمركز الصحي.

وفي جميع الأحوال فقد شكل التوسع في ذاته العنصر التعميري الأقوى حضورا في مدينة القصر الكبير بوصفه أحد أهم أسواق شمال المغرب، من حيث تعدد السلع التي يتم تداولها فيه، وتنوعها. ولقد أدى النشاط التجاري لهذا السوق من بين ما أدى إليه إلى تشييد بنيانين على قدر كبير من الأهمية : السوق المركزي وسوق الجيوب. فأولهما شيد بالأسمنت المسلح في سنة 1932، متخذا شكل طابق سفلي مجاور لساحة مولاي المهدي، يجمع بنيانه بين تفصيلات زخرفية من نمط الهندسة الأهلية، وبين مساحة عملية، بالنظر إلى المهمة التي وجد من أجلها، بتركيب عقلاني لتجويفات وفراغات على واجهته. أما ثاني هاتين السوقين فهو من توقيع فرناندو شيكة غويسية (Fernando Chueca Goitia) في 1953، ويتكون بدوره من طابق سفلي جاء على شكل منلث، احتضنت زواياه أروقة وقاعات خارجية على أبوابها أنصاف أقواس تضمن تناسقها مع نمط العمار التي تطور من قبل ثلاثين سنة خلت بهذه المنطقة من المدينة، منطقة سيدي أبو أحمد.

وبالإضافة إلى المنشآت المدينية المذكورة سابقا، تبرز اليوم من هندسة المدينة العنيفة الطرز الخاصة بمناسبجها (المدارات). يتعلق الأمر بتلك البنايات المنكوبة من طابق إلى طابقين التي تخصص أروقة وبيوتا صغيرة للعمل بشتغل كل صانع في واحد منها وتكون منفتحة باستمرار على فضاء يتوسطها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن منازل من مثل منزل البقالي ومنزل عدة وكذلك منزل حسيسين ومنزل الرميقي الذين ر بناؤهما في مرحلة متأخرة لتمثل خير دليل الدار السكنية التقليدية، التي تتصل أكثر حجراتها وصالاتها بفناء أو بفنائين وفي بعض الحالات بحديقة أو أكثر. وبالإضافة إلى ذلك فالواقع أن الفنادق ودور الدباغة والفبسارات، والمساحات العمرانية لزنقة الديوان وساحة السوق الصغير في حومة باب الواد وساحة الجامع السعيد والدرس وسيدي يعقوب، والسويقة في حومة الشريعة، لتشكل في دانها عناصر على قدر كبير من الأهمية في النسيج الحضري للمدينة القديمة.

وعلى كل حال فقد أسهمت العلاقة الوطيدة التي تجمع بين مدينة القصر الكبير ومحيطها الفلاحي في تكون مجموعة من الدواوير التي أحاطت بها من كل جهة، وخاصة من جهتها الشرقية، لاحتضان الهجرة القروية. كما أدى للسلسل التعميري الأساسي للنصف الثاني من القرن العشرين إلى تدبين تدريجي لهذه الدواوير من خلال تجزئتها وإعدادها للبناء من طرف المبادرات الخاصة، التي ستتناهى في السبعينات من القرن المذكور. ففي هذا الوقت، الذي تم فيه إعداد الأراضي الخصبة الفيحلة بالمدينة للسقي، بعد الانتهاء من بناء سد وادي الأقنان، ستعرف مدينة القصر الكبير أوج نهضتها الحضرية، بحيث ستتضاعف المساحات المعدة منها لذلك ثلاثة أضعاف خلال الثلاثين سنة من القرن الماضي.

الهندسة المعمارية للمدينة

لقد عكست العمارة الإسبانية المشيدة بالقصر الكبير خلال النصف الأول من القرن العشرين تأثيرات مختلف الطرز المثالية للبناء في هذه المدينة. فقد جاءت مرحلة عمور الطرز الانتقائية المنتقاة على يد معماريين من أمثال كارلوس أوفيلو (Carlos Óvilo)، في بنائه لأولى المدارس بالقصر الكبير (1917)، وللمستوصف (1918)، ولبناية البريد والتلغراف (1924). بعد المرحلة الأولى لفن العمارة للغربي الجديدة، الذي أبرز وفقه المهندسون العسكريون بالمعسكر منشآت من مثل قاعة الاعلام (1919)، التي أسهم في بنائها المصنع النقليدوين الفاسيون والمركنيون. وبعد هذه الرحلة وضع خوسي لوريسة (José Larrucea)، ضمن توجه معماري يأخذ بلوبنات الهندسة الأهلية، تصميم البناية التي تخصص اليوم ثانوية ابن خلدون (1926)، قبل وضعه لتصاميم الإقامة العامة القديمة (1926)، ولكنيسة القلب المقدس (1931)، ولمدرسة سيدي أبو أحمد (1934)، ضمن توجه عقلاني، وهو نفس التوجه الذي سيراه ترسخا بعيد هذه المرحلة في منجزات فرنسيسكو هيرانت (Francisco Herranz) المتمثلة في تصميماته للإقامات السكنية الفخمة في المعسكر، أو للمركز الصحي.

وفي جميع الأحوال فقد شكل التوسع في ذاته العنصر التعميري الأقوى حضورا في مدينة القصر الكبير بوصفه أحد أهم أسواق شمال المغرب، من حيث تعدد السلع التي يتم تداولها فيه، وتنوعها. ولقد أدى النشاط التجاري لهذا السوق من بين ما أدى إليه إلى تشييد بنيانين على قدر كبير من الأهمية : السوق المركزي وسوق الجيوب. فأولهما شيد بالأسمنت المسلح في سنة 1932، متخذا شكل طابق سفلي مجاور لساحة مولاي المهدي، يجمع بنيانه بين تفصيلات زخرفية من نمط الهندسة الأهلية، وبين مساحة عملية، بالنظر إلى المهمة التي وجد من أجلها، بتركيب عقلاني لتجويفات وفراغات على واجهته. أما ثاني هاتين السوقين فهو من توقيع فرناندو شيكة غويسية (Fernando Chueca Goitia) في 1953، ويتكون بدوره من طابق سفلي جاء على شكل منلث، احتضنت زواياه أروقة وقاعات خارجية على أبوابها أنصاف أقواس تضمن تناسقها مع نمط العمار التي تطور من قبل ثلاثين سنة خلت بهذه المنطقة من المدينة، منطقة سيدي أبو أحمد.

وبالإضافة إلى المنشآت المدينية المذكورة سابقا، تبرز اليوم من هندسة المدينة العنيفة الطرز الخاصة بمناسبجها (المدارات). يتعلق الأمر بتلك البنايات المنكوبة من طابق إلى طابقين التي تخصص أروقة وبيوتا صغيرة للعمل بشتغل كل صانع في واحد منها وتكون منفتحة باستمرار على فضاء يتوسطها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن منازل من مثل منزل البقالي ومنزل عدة وكذلك منزل حسيسين ومنزل الرميقي الذين ر بناؤهما في مرحلة متأخرة لتمثل خير دليل الدار السكنية التقليدية، التي تتصل أكثر حجراتها وصالاتها بفناء أو بفنائين وفي بعض الحالات بحديقة أو أكثر. وبالإضافة إلى ذلك فالواقع أن الفنادق ودور الدباغة والفبسارات، والمساحات العمرانية لزنقة الديوان وساحة السوق الصغير في حومة باب الواد وساحة الجامع السعيد والدرس وسيدي يعقوب، والسويقة في حومة الشريعة، لتشكل في دانها عناصر على قدر كبير من الأهمية في النسيج الحضري للمدينة القديمة.

وعلى كل حال فقد أسهمت العلاقة الوطيدة التي تجمع بين مدينة القصر الكبير ومحيطها الفلاحي في تكون مجموعة من الدواوير التي أحاطت بها من كل جهة، وخ

القصر الكبير

قائمة الساحات

1 الساحة الأشهر B6
2 الساحة السعيدة C5
3 ساحة الحومة C6
4 ساحة الشهداء B4
5 ساحة عبي بنطاهر C3
6 ساحة الفاروق C5
7 ساحة عبي بنطاهر C5
8 ساحة باب الشريعة B2
9 ساحة الأندلس A6
10 ساحة سيدي الزايس C6
11 ساحة سيدي بن زيد B3
12 الزاوية التيجانية B4
13 الكنيسة الكاثوليكية C2
14 ساحة الحرية B6
15 دار الحرية B6
16 دار الشرطة B6
17 دار الشرطة A6
18 المستشفى B5
19 دار الشرطة B7
20 دار الفلاح B5-B6-C3-C5
21 فندق الشهباء B5
22 فندق الشهباء B5
23 فندق الشهباء B5
24 فندق الشهباء B5
25 فندق الشهباء B5
26 فندق الشهباء A7-B7
27 فندق الشهباء B6
28 حي عين سيدي بنان B6
29 بوابة القلة D1
30 قلعة الشاطئ D2
31 قلعة الشاطئ D2
32 مدرسة ابن خلدون C1
33 مدرسة ابن خلدون C5
34 مدرسة الشهيد B1
35 السوق المركزي B4
36 (سوق بنشاد (سوق الجوب سابقا D5
37 المركز الثقافي C5
38 (الوسط الشعبية (الشبيبة الجوب باب الفاس D2-D3
39 الوسط الشعبية D2
40 الوسط الشعبية C5
41 مجموعة مسكن العصر الأخير D1-D2
42 مجموعة مشاري باب الفاس C2
43 مجموعة سكنية الحصن السكة الجديدة C1
44 مجموعة سكنية شارع بلال بن عبد الله B4
45 ثانوية ساحة الشرق C5
46 ثانوية ساحة الحرية C4
47 ثانوية ساحة الحرية A6
48 ثانوية ساحة الأزهار C5
49 ثانوية الأندلس ساحة الشهداء C5
50 ثانوية سكنية ساحة الشهداء B2